الفصل الرابع

شُعَـراء هُـذَيْـل

اشتهرَتْ قبيلةُ هُذَيْلٍ بفصاحَتها وبلاغَتها بين العرب، وكان لها نصيبٌ كبيرٌ في دولة الشِّعْرِ والأدب، وقد كَثُرَ شُعراؤها كثرةً هائلةً تضعُها في المركزِ الأول بين القبائلِ العربية، وإن ما وصل إلينا من أَشْعارِهم يمثلُ أكبرَ ما عُرِفَ لأيَّة قبيلةٍ من القبائل، يقول الزّبيدي: " وهُذَيْلٌ أعرقَتْ في الشِّعْرِ"(١) ويقول ابنُ حزمٍ، "وفي هُذَيْلٍ نيّفٌ وسبعون شاعراً مشاهير"(٢).

وقد سُئِلَ حسانُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه: مَن أشعرُ النَّاس؟ فقال: أرجلاً أم حيّاً؟ قيل: بل حيّاً، قال أشعرُ الناسِ حيّاً هُذَيْل. قال ابن سلاّم الجُمَحِيُّ: وأشعرُ هُذَيْلٍ أبو ذؤيب غير مُدافَع(٣). وقالَ الأصمعيُّ: قال أبو عمرو بن العلاء: "أفصحُ الشعراءِ لساناً وأعذبُهم أهلُ السَّروات، وهنّ ثلاث وهي الجبال المطلَّةُ على تهامة مما يلي اليمن: فأولُها هُذَيْلٌ، وهي تلي السهل من تهامة، ثم بَجيلة في السَّرَاة الوسطى، وقد شركَتْهم ثقيفٌ في ناحيةٍ منها، ثم سراة الأَزْد أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب ابن الحارث بن نصر بن الأزد(٤).

وكان لهذه القبيلة في الجاهليَّة سوقٌ خاصَّةٌ، هي سوقُ ذي المجازِ وكانت على بعد فرسخٍ من عَرَفَةَ(٥). فكانوا يتناشدون بها ما ينسال على ألْسنتهم من أشْعارٍ، هم ومن يأتيهم من قبائلِ العرب الأخرى.

وكثيراً ما تحدَّث العلماءُ والنُّقّادُ عن شاعرية هُذَيْلٍ وكثرة أشعارها وشعرائها، قال الأصمعيُّ: " إذا فاتك من الهُذَلِيِّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خيرَ فيه"(٦). وقال يونس بن حبيب: "ليس في هُذَيْلٍ إلا شاعرٌ أو رامٍ أو شديدُ

---

(١) تاج العروس: مادة (هذل).
(٢) جمهرة أنساب العرب ص١٩٨.
(٣) العمدة ١/٨٨، والمزهر ٢/٤٨٣.
(٤) العمدة ١/٨٩، وبلوغ الأرب للألوسي ٣/٨٨.
(٥) بلوغ الأرب للألوسي ١/٢٦٦.
(٦) الأغاني ٢١/٢٣٣.

العَدْوِ"[1] وفي كتاب" فحولة الشعراء" قال أبو حاتم: حدثني الأصمعيُّ قال: قيل لحسان: مَن أشعرُ النَّاسِ؟ قال أشعرُهم رجلاً أم قبيلة، قال: بل قبيلة: قال هُذَيْلٌ، قال الأصمعي: فهم أربعون شاعراً مُفْلِقاً، وكلُّهم يَعْدوُ على رجله ليس فيهم فارس[2].

وقال أبو سعيد السُّكَّريُّ: قيل لحسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه: أي الناس أشعر؟ فقال: رجلٌ بعينه أم قَبيلٌ بأسره؟ فقال: بل قبيل بأسره، قال: هُذَيْل فيهم نيفٌ وثلاثون شاعراً أو نحو ذلك، وبنو سنان مثلهم مرتين وليس فيهم شاعرٌ واحدٌ[3]. وذكر الألوسي أنه كان يقال: هُذَيْلٌ أشعرُ القبائل وأبو ذؤيب أشعرُها[4]. فهذا يدلُّ دلالةً واضحةً على كثرة شِعْرِهم وشعرائهم كثرةً لفتَتْ أنْظارَ العلماء والنُّقّاد.

والحقُّ أن هذه القبيلة اشتهرت بكثرة الشِّعْرِ والشعراء، فقد نبغَ فيها من الشعراء من لم ينبغ مثله كثرةً وجودةً في أية قبيلة من قبائل العرب. وقد أنجبت هذه القبيلة العديدَ من الشعراء المُفْلقين الأفذاذ الذين سجلوا بأشعارهم صفحات ناصعةً تدلُّ على شاعريتهم الفذة، وما تمتاز به من البلاغة والفصاحة وسلامة اللغة، مما يُعدُّ بحقٍّ مفخرةً كبرى للأدب العربي على مَرِّ العصور.

والواقعُ أنَّ قبيلةَ هُذَيْلٍ كانت مدرسةً للشِّعرِ والشعراء عند العرب، فقد أعرقَتْ في الشِّعر خاصةً، حتى كان الرجلُ منهم ربما أنجبَ عشرة من البنين كلّهم،شعراء، وقد ذكرَ السُّكَّريُّ عن الجُمَحيِّ وأبي عُبيدة قال: " كان بنو مُرَّةَ[5] عشرةَ رهط: أبو خراش، وأبو جُنْدُب، والأَبَحُّ، والأَسْوَدُ، وأبو الأَسْود، وعمرٌو، وزهيرٌ، وجنَّادٌ، وسفيانُ وعُرْوَةُ، وكانوا كلهم دهاةً شُعراء[6]. وفي كتابَيْ شرح أشعار الهذليين، وديوان الهذليين، ما يقرب من مئة شاعر، وأكثرهم من المشهورين ومن أصحاب القصائد الطويلة، وبعضُهم من أصحاب المقطعات القصيرة، ولعلَّ في كلِّ ذلك ما يدلُّ على

---

(١) البيان والتبيين ١ / ١٧٤.

(٢) فحولة الشعراء للأصمعي ص٣٧.

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٣٨.

(٤) بلوغ الأرب ٣ / ١٤٠.

(٥) بنو مُرَّة: مُرَّةُ أحدُ بني قرْد بن معاوية بن تَميم بن سَعْد بن هُذَيْل، وقرْدٌ هو عمرو.

(٦) كتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٤٥.

انبجاسِ شاعريتهم وكثرة شعرائهم، والمهمُ أنَّ شعراءَهم قد بلغوا مِن الكثرةِ حدّاً لم يبلغه في أية قبيلة أخرى من العرب.

وقد قام الأستاذ عبد الستار أحمد فراج في تحقيقه لكتاب شرح أشعار الهذليين، بعمل فهرس أسماه، "فهرس الشعراء الهذليين"(١) وبلغ عددُ مَن فيه من الشعراء مئة وأربعة وثلاثين شاعراً. إلا أنَّ هؤلاء الشعراء أكثرُهم هذليون وأقلُّهم غيرُ هذليين، ويبلغ عددُ الشعراء الهذليين زهاء مئة شاعرٍ. أما عن سرِّ جمعهم في فهرس واحدٍ، فقد نَبَّه الأستاذُ عبد الستار أحمد فراج في مقدمته إلى ذلك فقال: "ولقد صارت لفظة الهُذَلي تُطلَقُ على من جاء في أشعار الهذليين، كما يقال الحماسيّ لمن جاء في حماسة أبي تمام، بل إنَّ الهذليَّ في أشعارِ هُذَيْل تتناول في بعض الأحيان من جاء فيها ولو لم يكن هذليّاً. وفي أساس البلاغة (١/ ٣٧٩) "رود" : قال الهذلي. وهو الجمُوح الظَّفَريُّ وليس هُذليّاً. وفي معجم البلدان "عبود" : "الهُذَلي" وهو الجموحُ الظفريُّ.

بل أنَّ التحريفَ صار يُدْخِلُ شعراءَ في هُذَيْلٍ وليسوا منها، ولا جاؤوا في أشعارِ هُذَيْل. ففي اللسان "شَجَر" (٦/ ٦٥) "عويفٌ الهُذَلي". وهو عويفُ القوافي، كما في مادة (طبع)، وفي هامش كتاب سيبويه (١/ ١٢٠) "حميدُ بن ثور الهُذَلي" وهو "حميدُ بن ثورٍ الهلاليُّ"(٢).

ففي أشعارِ الهذليين وردت أسماءٌ لبعضِ شعراء غير هذليين، وقد استلزم ذكرُهم، وفي هذه الأشعار أنَّ لهم مع الشعراءالهذليين نقائضَ شعرية، أو لأنهم وردوا في الحروب والأيام والوقائع التي خاضتها هُذَيْلٌ معهم، فقد كان الشعراء يتهاجون وقد يَرُدُّ عليهم الشعراء من قبائل أخرى. فاستوجب كلُّ ذلك ذِكْرَ هؤلاء الشعراء غير الهذليين في أشعار الهذليين، بل إنهم اشتهروا بوصفهم هذليين وقد وقعَ بعضُهم في خَلْطٍ فلم يميز بين الهُذَليِّ وغيرِ الهُذَليِّ.

ولقد قمتُ بدراسةٍ واسعةٍ حولَ شُعراء هذيل، وتفحصت فهرسَ الشعراء الهذليين، فأحصيت الشعراء الهذليين أصلاً وهم الذين يرجعون بنسبهم إلى قبيلةِ

---

(١) المرجع السابق ٣/ ١٧٠٣.

(٢) مقدمة كتاب شرح أشعار الهذليين ص١٥.

هُذَيْلٍ، وأحصيت كذلك الشعراء الذين وردوا في هذا الفهرس وهم غيرُ هذليين أصلاً.

وقد عانيت في ذلك مشقةً وجهداً شديدين في الاطلاع على المراجع حتى ميزتُ بينهم بعد أن رجعت إلى أنسابهم جميعاً، وبحثت عن نجارهم واحداً واحداً، فوصلتُ إلى أن الهذليين أصلاً ما يقرب من مائة شاعرٍ وأنَّ البقيةَ الباقية منهم من غيرِ هُذَيْلٍ، إلا أنهم وجدوا في فهرس الشعراء الهذليين للأسباب التي ذكرناها. وقد وجدت أيضاً أن بعض الشعراء ذُكِرَ مرتين في هذا الفهرس،مرة باسمه ومرة أخرى بلقبه.

أما الشعراء الهذليون فقد رتبتهم على حروف الأبجدية وهم:

١- الأَبَحُّ بن مُرَّة وهو أخو أبي خِراش.

٢- أبو أراكة الصَّاهِليُّ

٣- أُسامةُ بن الحارث.

٤- الأعلمُ وهو حَبيب بن عبد الله.

٥- أُمَيَّة بن أبي عائذ.

٦- إياس بن جُنْدُب بن المعترض أخو بني عمرو بن الحارث.

٧- إياسُ بنُ سَهْم بن أُسامة بن الحارث.

٨- أبو بُثَينةَ الصَّاهِليُّ.

٩- بدر بن عامر من بني خُنَاعة.

١٠- ابن بَرَّاق الهذليُّ.

١١- البُرَيْقُ بنُ عِياضِ بن خُوَيْلِدٍ الخُناعيُّ.

١٢- ابن تُرْنَى الهُذَليُّ.

١٣- أبو جُنْدُب وهو أخو أبي خِراش.

١٤- جَنوب أُخت عمرو ذي الكلب.

١٥- أبو حَبيب حَرْبٌ اللِّحْيَانِيُّ.

١٦- حَبيبٌ أخو بني عمرو بن الحارث.

١٧- حُذَيْفَة بن أَنَس.

١٨- أبو الحَنّان وهو زياد بن عُلْبةَ السَّهْمِيُّ.

١٩- خالد بن زُهَيْر.

٢٠- خَوَيْلِد بن وائِلة.

٢١- أبو خِراش.

٢٢- شاعر بني خُناعة.

٢٣- الدَّاخل بن حَرام وهو زُهَير بن حَرام أحد بني سِهْم بن معاوية.

٢٤- أبو ذَرَّةَ الهذليُّ.

٢٥- أبو ذؤيب.

٢٦- أبو الرَّعَّاش الصَّاهِليُّ.

٢٧- رَبيعة بن الجَحْدَر اللِّحْيانيُّ.

٢٨- رَبيعةُ بنُ الكَوْدَن أَخو بني حَنيف بن معاوية.

٢٩- سَاعِدة بن جُؤَيَّة.

٣٠- سَاعدة بن العَجْلاَن.

٣١- سَاعدة بن عمرو.

٣٢- سريع بن عمران الصَّاهِليُّ.

٣٣- سَلْمَى بن المُقْعَد القُرَمِيُّ.

٣٤- سَهْمُ بن أُسامة بن الحارث.

٣٥- أبو شِهاب المازِنيُّ.

٣٦- صَخْرُ الغَيِّ.

٣٧- أبو صَخْر.

٣٨- أبو ضَبٍّ اللحيانيُّ.

٣٩- عامر بن سَدوس الخُنَاعِيُّ.

٤٠- عامر بن العَجْلان.

٤١- عَبْدُ بن حَبيب أخو بني قُرَيْم بن صاهِلة.

٤٢- عبد الله بن أبي ثعلب.

٤٣- عبد الله بن مسلم بن جُنْدُب.

٤٤- عبد مَناف بن رِبْع الجُرَبِي.

٤٥- العَجْلاَن بن خُلَيْدَة الصَّاهِليُّ.

٤٦- عُرْوَةُ بنُ مُرَّة أخو أبي خِراش.

٤٧- عَقيل بن زياد الهذليُّ.

٤٨- أبو عُمارة بن أبي طَرَفَة.

٤٩- عَمْرَة بنت العَجْلان وهي أخت عمرو ذي الكلب.

٥٠- عمرو بن أبي جَمْرة أخو بني قُرَيْم.

٥١- عمرو بن الدَّاخل.

٥٢- عمرو ذوى الكَلْب بن العَجْلان.

٥٣- عمرو بن قيس المخزومي.

٥٤- عمرو بن هُمَيْل اللِّحْيانِيُّ.

٥٥- عِياض بن خُوَيْلد.

٥٦- أبو العيال.

٥٧- غاسل بن غُزَيَّة الجربيُّ.

٥٨- غالب بن رُزَيْن الهذليُّ.

٥٩- شاعر من بني قُرَيْم.

٦٠- أبو قِلابةِ الطابخيُّ اللحيانيُّ

٦١- قَيْسُ بن العَجْوَة الهذليُّ

٦٢- قَيْس ابن العَيْزارة، والعيزارة أُمُّه

٦٣- أبو كبير عامر بن الحُلَيْس

٦٤- رجل من بني لِحيانِ

٦٥- مالك بن الحارث

٦٦- مالك بن خالد الخُنَاعِيُّ

٦٧- المُتنَخِّل

٦٨- أبو المُثَلَّم.

٦٩- مُحَرِّث بن زُبَيْدٍ الصَّاهِليُّ.

٧٠- مُرَّةُ بن عبد الله اللِّحْيانيُّ.

٧١- المُعَطَّل.

٧٢- مَعْقِلُ بن خُوَيْلد.

٧٣- مُلَيْحُ بنُ الحَكم القِرْدِيُّ

٧٤- أبو المُوَرَّق اللِّحْيانيُّ

٧٥- رجل من هُذَيْل

٧٦- رجل آخر من هذيل

٧٧- رجل من هذيل غير مسمى

٧٨- رجل غيرهم من هذيل.

أما غير الهذليين من الشعراء الذين وجدوا في كتاب شرح أشعار الهذليين فهم:

١- أُسَيْدُ بنُ أَبِي إِياس بن زُنَيْم وهو من بني عَبْد بن عَدِيِّ بن الدِّيل من كِنانة.

٢- أُمية بن الأشْكَر وهو من بني لَيْث بن بكر.

٣- أبن أَنْمار الخَزاعِيُّ

٤- أُهْبان بن لُعْط وهو من بَكر

٥- تأَبَّطَ شَرّاً وهو من فَهْم.

٦- أُمُّ تأبَّطَ شرّاً وهي من بني القَيْن بن جسْر.

٧- الجَمُوحَ الظَّفَرِيُّ من سُلَيْم

٨- جُنَادَة بن عامر أحد بني الدَّرْعاء وهم حيٌّ من عَدْوان بن فَهْم.

٩- جَنوب بنت الحزن بن مُرَّة من خُزاعة.

١٠- حبيب بن اليُمان

١١- حَدير شاعر بني ذُؤَيْبَة

١٢- حسان بن ثابت الأنصاري.

١٣- حُصَيْب الضَّمْرِيُّ من بكر.

١٤- ذئب ابنة نُشْبَة من فَهْم.

١٥- راشد بن عبدِ ربِّه الظَّفَرِيُّ من سُلَيْم.

١٦- رَيْطة بنت عاصِية البَهْزِيّ من سُلَيْم.

١٧- سارية بن زُنَيْم وهو من بني عَبْد بن عديّ بن الدِّيل من كِنانة.

١٨- سُرَاقَة بن جُعْشُم من كِنانة

١٩- سُوَيْد بن عُمَيْر الخُزاعِيُّ

٢٠- ضَبيس بن رافع العَضَلِيُّ

٢١- طارق الخُزَاعِيُّ

٢٢- أبو عامر بن أَبِي الأَخْنَسِ الفَهْمِيُّ

٢٣- ابن أحي عامر بنُ عُبَيْد الخُزاعِيُّ

٢٤- عباس بن مِرْدَاس

٢٥- عمرو بن جُنَادة الخُزَاعيُّ

٢٦- أم عمرو امرأة خِذام الخُزَاعِي

٢٧- عُمَير بن الجَعْد الخُزَاعِيُّ

٢٨- كانف الفَهْمِيُّ.

٢٩- كُلَيْب بن عَهْمَة السَّلْمِيُّ

٣٠- مالك بن عوف النَّصْرِيُّ من هَوازن.

٣١- المذال بن المعترض الظَّفَرِيُّ من سُلَيْم

٣٢- المُعتَرِض بن حَبْواء الظَّفَرِيُّ من سُلَيمْ

٣٣- ابن نَجْدة الفَهْمِيُّ

٣٤- وَليعة بن الحارث من كِنانة.

وغيرهم من الشعراء الذين وردوا كأن يقال: شاعر بني سُلَيْم، أو رجل من سُلَيْم، أو يقال شاعر فَهْم، أو رجل من جُهَيْنَة، أو رجل من خُزاعة أو نحو ذلك.

على أن هناك شعراء من هُذَيْل لم ترد أسماؤهم في ديوان الهذليين أو كتاب شرح أشعار الهذليين، فقد ذكر المرزباني في معجم الشعراء عمرو بن مَعْمَر الهُذَليّ، وذكر أنه هو القائل يرثي عبد الله ومصعباً ابْنَي الزبير من أبيات يقول فيها:

فإن يَكُ هذا الدَّهْرُ أَوْدَى بِمُصْعَبٍ ... أصبحَ عبدَ اللهِ شلْواً مُلَحَّبَا

فكلُّ امرئٍ حاسٍ من الموتِ جُرْعَةً ... وإن حادَ عنها جهدَهُ وتَهَيَّبَا (١)

ولم يرد هذا الشاعر ولا شعره في ديوان الهذلين أو كتاب شرح أشعار الهذليين.

ومنهم معمر بن العَنْبَر الهُذَلي الذي تنسب له قصيدةٌ في الأغاني(٢).

ثم عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة بن مسعود الهذلي، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان شاعراً غزلاً رقيقاً، وقد ذكرنا له سابقاً أبياتاً من الغزل في أغراض الشعرِ

---

(١) معجم الشعراء ص٤٤.

(٢) الأغاني ٦ / ١١٤ دار الكتب.

الهذلي، وترجم له الحصري في زهرِ الآداب[1]، وذكر بعضَ شعره، وكذلك مازن بن خُويلد وهو ابنُ أبي ذؤيب وكان يكنى أبا شِهاب، وذكر ابنُ قتيبة أنه كان أحد شعراء هُذَيْل[2].

كذلك ورد في لسان العرب وتاج العروس أسماء لشعراء آخرين من هذيل، وفي اللسان بالذات عرفنا شعراء مجهولين أمثال أبي جُهَيْمَة وأبي درة - وهو غير أبي ذرة - وهناك أبو سهو وسويد وغيرهم، وللجميع أبيات كثيرة[3]. والمهم في ذلك أن نقرر ونعلم أنه قد وردت أسماء لشعراء هذليين في المراجع الأدبية واللغوية في حين أنها لم ترد في ديوان الهذليين أو كتاب شرح أشعار الهذليين.

وإذا أردنا أن نترجم لشعراء هُذيْل فإن أمامنا صعوبات شتَّى، فمن ذلك أن معظمَهم لم يرد له تراجم، وإذا ورد لبعضهم ترجمة فإنها تكون مقتضبةً ويسيرةً، وكثيراً ما تكون الترجمة مما لا يتعدى ذكر اسمه. ومن ذلك أنه يوجد في الشعراء الهذليين كثيرٌ من الشعراء المُقلِّين كأبي أراكة وأبي حبيبٍ حرب اللحياني وأبي ذَرَّة وأبي الرَّعَّاش الصاهليّ وغالب بن رُزَيْن ومُرَّةَ بن عبد الله اللحيانيّ وغيرهم، فهؤلاء وأمثالهم قد ورد لهم بيتان أو ثلاثة أبيات أو نحو ذلك ولم يُذكر في أخبارهم إلا قال "فلان".

ومن الصعوبات التي واجهتنا أيضاً أن كثيراً من شعراء هُذَيْلٍ لا يُعرفُ عنهم أنهم جاهليون أو إسلاميون، فإنه فضلاً عن عدم وجود تراجم لأكثرهم نجد التراجمَ المذكورة لبعضهم لا تسعفُ الباحثَ، فأحيانا تذكر الترجمة للشاعرِ ثم لا يذكر فيها أنه جاهلي أو إسلامي. نعم قد وجد في تراجم بعضهم أو المشهورين منهم ما ينصّ على ذلك، ولكن ذلك يصدق مع عددٍ قليلٍ من هؤلاء الشعراء بالنسبة إلى عددهم الكبير الذي يقارب المائة.

ولذلك "لا نملك أن نميزَ الجاهليَّ من الإسلاميَّ في شعرهم أحياناً، فقد يحدث أن يتكلموا في أشياء لا تمس حياتَهم فلا ندري أقيلَتْ هذه في جاهليتهم أو بعدَ ما

---

(١) زهر الآداب ١ / ١٨٠.

(٢) الشعر والشعراء ٢ / ٦٥٧.

(٣) شعر الهذليين د. أحمد كمال زكي ص١٣٨.

أسلموا؟ إن ما يرويه الرواةُ لا يكفي مطلقاً لمعرفة الوقت الذي قيلت فيه، ومن ثم يصعب أن نحدِّدَ لها تاريخاً معيناً، يُعيننا على ما نهدف إليه في كثيرٍ من الأحيان(١).

وكثيراً ما يقول رواةُ الشِّعْرِ الهُذَلِيِّ في ديوان الهذليين أو كتاب شرح أشعار الهذليين قال: "فلان" بدون أيّ تقديمٍ للقصيدة، وبدون أيّ مناسبةٍ لها، فلا نعرف هذه القصيدة في أيِّ غرضٍ قيلت إلا بعد قراءتها ودراستها. ثم إنّ الشعراء قد يتكلمون في أشياء لا تمس حياتَهم فلا ندري أقيلت في الجاهلية أو في الإسلام. وكذلك نرى محققي أشعار الهذليين لم يذكروا عن الشعراء إن كانوا جاهليين أو إسلاميين.

وهناك مجموعة من شعراء هُذَيْلٍ أدركوا الإسلام، وأسلموا في حياة النبيِّ ﷺ كأبي خراشٍ وأبي ذؤيب وأبي كبير وغيرهم، فهؤلاء نجد تراجمَهم وطائفة من شعرهم في كتب الصحابة كالإصابة لابن حجر، وأُسد الغابة لابن الأثير. ومن هذا القبيل أيضاً ما ترويه كتبُ السيرة كسيرة ابن هشام، والروض الأُنف للسهيلي، فهناك قد نجد أخباراً عن كثير من شُعراء هُذَيْلٍ الذين أدركوا الإسلامَ، ثم إنها قد تكون أخباراً جانبية ولا تمثل صلب الترجمة.

أما المجموعة التي ترجمَ لها صاحبُ الأغاني فهي ترجمة لا بأس بها، وتكشف عن كثيرٍ من جوانب حياتهم، إلا أنَّ عددَ الشعراء الذين ترجمَ لهم قليلٌ بالنسبة إلى شعراء هُذَيْلٍ جميعاً، فقد ترجم لأبي ذؤيب وأبي خِراش وصخر الغيّ وعمرو ذي الكلب وأمية بن أبي عائذ والمُتَنَخِّل وأبي صخر وأبي العِيال. كما أنه ذكرَ شعراء غيرَهم أثناء حديثه عن هؤلاء في ترجمته لهم، كأبي خِراش الذي ذكر في ترجمته بعضَ أخبارَ إخوته، والمهم أن ترجمته لشعراء هُذَيْلٍ لا بأس بها.

أما ابن قتيبة في الشِّعْرِ والشعراء فقد ترجمَ لعددٍ منهم، ترجمات يسيرة ومقتضبة، وكثيراً ما تقتصر على اسم الشاعر ونسبه ثم ذكر بعض أبيات من شعره. وكذلك فعل الآمدي في المؤتلف والمختلف، فقد أوجز في الترجمة إيجازاً ملحوظاً ولم يترجم إلا لعدد قليل منهم، وهم ساعدةُ بن جُؤَيَّة والأَعلم وأبو ذؤيب والمتنخِّل وأبو المُثَلَّم.

---

(١) المرجع السابق ص١٩٦. مع بعض تصحيحات للأسلوب.

وكذلك فعل المرزباني في معجم الشعراء فقد ترجم لبعضهم ترجمة يسيرةً وقصيرةً، تقتصر على ذكر اسم الشاعر ونسبه، ثم ذكر بعض أبيات من شعره، وقد ذكر عن بعضهم أنه جاهليّ أو إسلاميّ، وأهمل ذلك في أكثرهم. والذين ترجم لهم هم: أبو قلابة، والعَجْلان بن خُلَيْدة، وعمرو بن تُرْنَى، وعمر ذو الكلب، وعمرو بن مَعْمَر الهذليّ، وعمرو بن هُمَيْل اللحياني، وعياض بن خويلد، وقيس ابنُ العَيْزارة، ومالك بن الحارث، والمتنخِّل، ومعقل بن خويلد، ومُلَيْح بن الحَكَم القِرْدِيُّ.

ويتضح مما سبق أن تلك التراجم لا تسعفُ الباحثَ الذي يريدُ أن يرسم صورةً مكتملةَ الجوانبِ، واضحةَ المعالمِ، لحياة شعراء هذه القبيلة.

فالشعراء الهذليون بعضُهم جَاهليٌّ وبعضهم أدرك الإسلامَ، وذكر بروكلمان أن أقلَّ شعراء ديوان هُذَيْل جاهليون وأكثرَهم إسلاميون[1]، والواقع أن هناك مجموعةً كبيرةً من شُعراء هُذَيْلٍ تسلك في عداد المخضرمين، الذين شهدوا من الجاهلية حظاً وزامنوا الإسلامَ في أواخر حياتهم، بل لقد امتد العمر ببعضهم إلى أيام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وقد ثبت أن هناك شعراء منهم عاشوا إلى أيام الأمويين كأبي العِيال وأميةَ بن أبي عائذ وأبي صخر وغيرهم.

وتطبيقاً لمنهج البحث، واكتمالاً لجوانبه سأقدم ترجماتٍ موجزةً لأشهر شعراء هذيل في الجاهلية ثم لأبرز المخضرمين منهم والإسلاميين.

١- أبو قلابَة:

هو أبو قِلابَة الطَّابخيُّ اللِّحْيانيُّ[2]، واسمه في رواية دِعْبِلٍ: عُوَيْمِرُ بن عمرو[3]، وقال الزبير بن بكار: "اسمه الحارث بن صَعْصَعَة بن كعب بن طابِخَة بن لِحْيان"[4] وأبو قِلابة هو عَمُّ المُتَنَخِّل[5].

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/ ٨٢.

(٢) كتاب شرح أشعار الهذليين ٢/ ٧١٠.

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص٧٥.

(٤) المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٥) كتاب شرح أشعار الهذليين ٢/ ٧١٠.

وهو شاعرٌ جاهلي قديم من أهل الحجاز، وقد وَلَدَ النبيَّ ﷺ من قِبَلِ ابنته أميمة، ويقال لها قِلابة بنت أبي قِلابة[1].

وذكر السهيلي أن أمهات النبيِّ ﷺ كلهن قرشيات، وأن منهن بَرَّة بنتُ عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِي، وأن أهل النسب ذكروا: أمَّ بَرَّة، وأَمَّ أُمِّها، وأمَّ أمِّ الأمِّ، وأنهن من غير قريش.

ثم ساق قولَ محمد بن حبيب: "وأمُّ بَرَّة: قِلابة بنت الحارث بن مالك بن طابخة ابن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لِحْيان بن هُذَيْل، وأم قِلابة: أُميمة بنت مالك بن غَنْم بن لِحيان بن غادية بن كعب، وأم أميمة: دَبَّة بنت الحارث بن لِحْيان بن غادية، وأمها بنت يربوع بن ناضرة بن غاضرة كهف الظُّلم من ثقيف"[2]. وذكر الزبير قِلابة بنت الحارث، وأن أباها الحارث كان يكنى أبا قِلابة وأنه أقدمُ شعراءِ هُذَيْلٍ[3].

وكان أبو قِلابة سيِّدَ بني لِحْيان، ويروى السُّكَّريُّ عنه وعن موقفه في يوم الأَحَثِّ الذي كان بين بني لِحْيان وبين بني الحارث بن تميم من هُذَيْلٍ ـ في قصة طويلة ـ[4]، وانتهى ذلك اليوم بأن بني الحارث بن تميم أدركوا بني لِحْيان فلم يزالوا يقتلونهم حتى غَيَّبَهُم الليلُ منهم بذِي مُراخٍ ـ وادٍ من بطن كَساب ـ وقد أكثروا فيهم القتلَ، فانتقل بنو لِحْيان من ذلك اليوم إلى غُرَّان وفَيْدَة، فتأثر أبو قِلابة في ذلك اليوم وقال قصيدة مطلعها:

يا دارُ أَعْرِفُها وَحْشاً منازِلُها ... بين القَوائِمِ من رَهْطٍ فأَلْبانِ

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص٧٦.

(٢) الروض الأنف للسهيلي ١ / ٤٤٠.

(٣) المرجع السابق والصفحة نفسها والذي في نسب قريش عن أمهات النبي ﷺ أن أمَّ بَرَّة هي: أميمة بنت مالك بن غنم بن حنش بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل، وأمها: قلابة بنت الحارث، فقلابة إذن هي: أمُّ أمِّ برة فلعل كلمة «أم» سقطت من «الروض» وأم قلابة هي: دَبَّةُ بنت الحارث بن تميم، وأمها: لُبْنَى بنت الحارث بن النمر بن جِرأة -بكسر الجيم- بن أُسَيِّد بن عمرو بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة... إلخ ص٢٠ وما بعدها (انظر هامش الروض للمحقق ١ / ٤٤٠).

(٤) انظر كتاب شرح أشعار الهذليين ٢ / ٧٠٩.

إلى أن يقول:

إنَّ الرَّشَـــادَ وإنَّ الغَيَّ في قَـــرَنٍ ... بكـلٍّ ذلكَ يَـأْتيكَ الجَـــديدَانِ

لا تأْمَنَنَّ ولو أصبَحْتَ في حَـرَمٍ ... إنَّ المَنـايَا بِجَنْبَيْ كلِّ إنْسَـــانِ

ولا تَهـابَنَّ إن يَمَّـمْتَ مَـهْلكَةً ... إنَّ المُزَحْـــزَحَ عنهُ يَوْمُـــهُ دَانِي

ولا تَقُـولَنْ لِشَيءٍ سـوفَ أَفْـعَلُهُ ... حـتى تَبَـيَّنَ مـا يَمْني لكَ المَانِي (١)

٢- المُتَنَخِّـلُ:

هو مـالكُ بن عُـوَيْمِـر بن عـثـمـانَ بن سُـوَيْدِ بن خُنَيْس بن خُناعـة بن عـادية بن صَعْصَعَةَ بن كعب بن طابخة بن لِحْيان بن هُذَيل بن مُدركة(٢). ويقال(٣): إن اسمه مالك بن عمرو بن عثم بن سُوَيْد.. إلخ، والصحيح الأول وأن اسم أبيه: عُوَيْمِرُ وهو ما عليه الأغاني والخزانةُ والمؤتلف والمختلف.

وكان يُكنَى أبا أُثَيْلَة(٤)، وفي الخزانة: أن المتنخِّل بكسر الخاء المشددة اسم فاعل من تَنَخَّلَ، يقال تنخلته، أي تَخَيَّرْته كأنك صفيته من نخالته.

والمتنخِّل لقبٌ، واسمه مالك وهوجاهلي(٥). ونحن نفهم من هذا اللقب أنه يدلُّ على احـتـفـالهم بتنقـيح الشِّـعْـرِ، لأن في هذا اللقب مـا يدلُّ على البـراعـة في هذا التنقيح،وما ينطوي فيه من تجويد.

وهو شـاعـرٌ محسن من شُعـراء هُذَيْلٍ(٦)، ومن فـحـولهم وفصـائحـهم(٧)، قـال الأصمعيُّ: ما قِيلتْ قصيدة على الزاي أجود من قصيدةِ الشمَّاخ في صفةِ القوسِ، ولو

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٧١٠ القوائم: جبال منتصبة، رهط وألبان: مواضع، وحش: ليس بها أحد، حرمٌ: مَنَعَةٌ المُزَحْزَح عنه: المُتَباعَد عنه، الماني: القادر الله عزّ وجل، يَمْني: يَقْدِرُ ويقضي.

(٢) المرجع نفسه ٣ / ١٢٤٩.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ / ٦٥٩.

(٤) الأغاني ٢٣ / ٢٦٠.

(٥) خزانة الأدب ٤ / ١٥٠.

(٦) المؤتلف والمختلف للآمدي ص٢٧٢.

(٧) الأغاني ٢٣ / ٢٦٠.

طالت قصيدة المتنخِّل كانت أجود، وهي التي يقولُ فيها:

يا ليْتَ شِعري وهَمُّ المرءِ يُنْصِبُهُ ... والمرْءُ ليسَ لَهُ في العيشِ تَحْريزُ

هل أَجْزِيَنَّكُما يوماً بقَرضِكُما ... والقَرْضُ بالقَرْضِ مَجْزِيٌّ ومَجْلوزُ (١)

وقال الأصمعيُّ أيضاً: أجود طائية قالتها العربُ قصيدة المتنخِّل التي يقول فيها:

وماءٍ قد وَرَدْتُ أُمَيمَ طَامٍ ... على أرجائِه زَجَلُ الغَطاطِ

كأنَّ مزاحِفَ الحَيَّاتِ فيهِ ... قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثارُ السِّياطِ (٢)

وهي قصيدة مشهورة وقد عرضنا لها في الفصل السابق وفي مواضع أخرى، وسبق له شعرٌ جيد في رثاء أبيه عويمر، وكذا في ابنه أُثَيْلَة، وقد عرضنا لهما في الرثاء، وذكر ابن قتيبة أن ذلك مما يستجاد له من الشعر(٣).

٣-عَمرو ذو الكَلْب:

هو عمرو بن العَجْلان بن عامر بن بُرد بن مُنَبِّه، أحدُ بني كاهل بن لحْيان بن هذيل(٤). وذكر السُّكَّريُّ أن منهم من يقول: عمرو ذو الكلب، وعمرو الكَلبُ وقد سُمِّي بذلك لأنه كان معه كلبٌ لا يفارقه(٥). وعن الأثرم وأبي عبيدة أنه قال: لم يكن له كلبٌ لا يفارقه، وإنما خرجَ غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به، فقال له أصحابه: يا ذا الكلب، فثبتت عليه(٦)، وقريب من هذا قول ابن حبيب وأبي عبد الله: أنه إنما سُمّي ذا الكلب لأنه خرج في سريَّة من قومه وفيهم رجلٌ يدعى عَمْراً، وكان مع عمرو هذا كلب، فسمي ذا الكلب(٧).

ويسميه الحصريُّ في زهرِ الآداب(٨): "عمرو بن عاصم" وهي رواية لم أجدها في

---

(١) الشعر والشعراء ٢/٦٥٩.

(٢) المؤتلف والمختلف ص٢٧٢، والشعر والشعراء ٢/٦٦٠.

(٣) الشعر والشعراء ٢/٦٦١.

(٤) الأغاني ٢٢/٣٨٧، وكتاب شرح أشعار الهذليين ٢/٥٦٥.

(٥) كتاب شرح أشعار الهذليين ٢/٥٦٥.

(٦) الأغاني ٢٢/٣٨٧.

(٧) كتاب شرح أشعار الهذليين ٥/٥٦٥.

(٨) زهر الآداب ٢/٧٩٦ ط. الحلبي.

غيره. ويقول عنه المرزباني: " هو عمرو ذو الكلب الهذليُّ أحدُ بني لِحيْان شاعرٌ قديم مغوار"(١). وقد نسب له المرزباني هذا البيت:

كُلُّ امرئٍ بِطوالِ العَيْشِ مَكذوبُ وكلُّ مَنْ غَالَب الأَيامَ مَغْلُوبُ (٢)

مع أنه ذُكر في الأغاني صدراً لقطعة شعرية منسوبة إلى أخته رَيْطَة في رثائه(٣) كما أنه نُسبَ في ديوان الهذليين إلى أخته جنوب ترثيه(٤). وهذا هوالصحيح فقد ذكرَ السكريُّ في كتاب شرح أشعار الهذليين هذا البيتَ صدراً لقصيدة لجنوب ترثي أخاها ذا الكلب(٥).

وهذا الشاعرُ من صعاليك هُذَيْلٍ المعروفين، وفرسانها المعدودين، وهو في قصيدة له يعلن لأعدائه بأن الصراعَ بينه وبينهم سيكون مريراً لا رحمة فيه والويل في للمغلوب، وينذرهم أنه لن يرحمَهم إذا ظفر بهم، كما أنه لا يريد منهم رحمةً إذا هم ظفروا به، فليكن الصراع بينه وبينهم عنيفاً، وليغزهم برفاقه الصعاليك الشجعان من هُذَيْل، الذين يختلف عددهم بين الواحد، والجماعة، ثم إنه يتوعدهم بأنه لن يكفَّ عن غَزوهم حتى يقتلهم، ويُرَمّل نساءهم، يقول:

فإنْ أُثقفتُموني فاقْتُلُوني وإنْ أَثقفْ فسوفَ تَرَوْنَ بَالِي
فأَبْرَحُ غَازياً أَهْدِي رَعيلاً أَؤُمُّ سَوَادَ طَوْدٍ ذِي نِجَالِ
ويَبْرَحُ واحدٌ واثْنانِ صَحْبِي ويَوماً في أَضَامِيمِ الرِّجَالِ
بِفِتْيانٍ عَمَارِطَ مِن هُذَيْلٍ هُمُ يَنْفُونَ آناسَ الحِلالِ
وأَبْرَحُ في طَوال الدهرِ حتَّى أُقِيمَ نِساءَ بَجْلَةَ بالنِّعالِ (٦)

---

(١) معجم الشعراء ص٢٧.
(٢) المرجع السابق والصفحة نفسها.
(٣) الأغاني ٢٢ / ٣٩٠.
(٤) ديوان الهذليين ٣ / ١٢٤ وراجع قطوف من ثمار الأدب للدكتور عبد السلام سرحان ١ / ٢٢٢.
(٥) كتاب شرح أشعار الهذليين ٢ / ٥٧٨.
(٦) المرجع السابق ٢ / ٥٦٧.

وهناك روايات في قتلة من ذلك أن ذا الكلب كان يغيرُ دائماً على بني فَهْم بن عدوان ويعتدي على ديارهم وأموالهم، ويعبث في نجوعهم فساداً، وكان عمله في هذا الميدان متصلاً متوالياً، فخرج ليلةً لغزوهم فأجهده التعب، فنام نوماً عميقاً، ثم مَرَّ به نَمِران فأكلاه، فادْعَت فَهْمٌ أنهم هم الذين قتلوه(١).

وفي رواية أخرى يرويها صاحبُ الأغاني نقلاً عن السكريِّ خلاصُتها أن فَهْماً هم الذين قتلوه، وكان قد عَلِقَ بامرأة من فَهْمٍ يقال لها أم جُلَيْحَة فأحبَّها وأحبته، وكان أهلها قد وَجَدُوا عليها وعليه، وطلبوا دمَه، وحدث أن جاءها بعد ذلك فنذروا به، وخرجوا في أثره، وخرج هارباً منهم حتى أدركوه وقتلوه في قصة طويلة(٢).

وقد رثته أختُه جنوب بقصيدة، تحدثت فيها عن شجاعته وإقدامه وفروسيته في الطعان والنزال، وكيف أنه كان يسبي النساء الجميلات اللواتي ينفحن بالطيب، ثم طالبت هذيلاً أن يكيلوا لهم صاعاً بصاع، حتى يرفعوا عنهم ذلك الذُّل، ويأخذوا بثأرهم لأخيها عمرو، ومطلعها:

كلُّ امرئٍ بطِوَالِ العَيْشِ مكذوبُ وكلُّ مَن غَالبَ الأيامَ مَغْلُوبُ (٣)

وهناك قصائد أخرى في رثائه لا مجال لذكرها هنا.

٤ - عبدُ مَناف بن رِبْع:

هو عبد مناف بن رِبْع الجربيُّ، أحدُ بني جُرَيْب بن سَعْد بن هُذَيل(٤). وهو شاعرٌ جاهليٌّ (٥).

ومن أخباره ما ذكره السكريُّ أنه قَتل رجلاً من سُلَيْم يُكْنَى أبا عَمرٍو، وكان يومئذٍ سيِّدَ قومه بني ظَفَرٍ من سُلَيْم، فَلِيمَ في ذلك، وقد لامه رجلٌ من قومه من بني سَهْم بن معاوية من هُذَيْل يُكْنى أبا حُذَيفة، فقال عَبْدُ مناف بن رِبْع في ذلك:

---

(١) انظر قطوف من ثمار الأدب د. عبد السلام سرحان ١/٢٢٢، والأغاني ٢٢/٣٨٧.

(٢) انظر المرجعين السابقين.

(٣) كتاب شرح أشعار الهذليين ٢/٥٧٨.

(٤) المرجع السابق ٢/٦٧٧.

(٥) الخزانة ٣/١٧٤ ط. بولاق.

أبا حُـذَيْفَـةَ دَعْنِي إنَّ قَـتْلَهُمُ صـاعٌ وقـارِبُ صـاعٍ لا يكادُ يَفِي
أَعْجَلْتُ قَوْمِي ولَمْ أَحْفِلْ لِذَلِكُمُ عَقْلَ القِيانِ وعَقْلَ الدُّلَّحِ الدُّلُفِ
إنْ يُقْتَلُوا لم يخافوا القتْلَ يومئذٍ فـإنَّهُمْ قَـتَلوا عَـمْـراً ولَمْ يَخَفِ
لما عَـرفْتُ أَبا عَـمـرٍو رَزَمْتُ بـه من بينهمْ رَزْمةَ العَيَّالِ في الغَرَفِ (١)

ويروي السكريُّ أن المعترضَ بن حَبْواء الظَّفَريَّ من سُلَيْم، خرج لغزو بني هُذَيْلٍ فوجَد بني قِرْدٍ من هذيل بأنف عَاذ ، وهما داران إحداهما فوق الأخرى وبينهما قريبٌ من ميلٍ، وقصة هذا اليوم طويلة(٢). وقد قال عَبْدُ مناف بن رِبْع يذكر يوم أنف عاذ في قصيدة طويلة مطلعها:

ألا ليْتَ جيشَ العيرِ لاقَوْا كتيبةً ثلاثينَ منَّا صِرْعَ ذاتِ الحَفَائِلِ (٣)

٥- سَاعِدَة بن جُؤَيِّة:

هو أحدُ بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدركة(٤). وذكر الآمدي أنه "شاعرٌ محسنٌ جاهليٌّ، وشعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة، وليس فيه من الْمُلَحِ ما يصلح للمذاكرة"(٥). أما صاحب الخزانة فقد ذكر أنه شاعر مخضرم: أدركَ الجاهلية والإسلام، وأسلم وليست له صحبه(٦).

ومن المرجح عندي أنه جاهليٌّ، لأنه وردَ أن أبا ذؤيب كان راوية له(٧). وهو شاعر مشهور ومكثر وله عديد من القصائد الطويلة والمقطعات القصيرة، وقد عرضنا لكثيرٍ

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين ٢/٦٧٧ الدُّلَّح: المثقلات يعني المخاض، الدلف: تدلف في مشيها قليلاً قليلاً، العَيَّال: المتبختر يريد الأسد، رزم: بَرك، الغَرفُ: شجر يُغَيِّض فيه.

(٢) المرجع السابق ٢/٦٨٢.

(٣) المرجع نفسه ٢/٦٨٣.

(٤) المرجع نفسه ٣/١٠٩٧، والخزانة ٣/٨٦ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

(٥) المؤتلف والمختلف ص١١٣.

(٦) خزانة الأدب ٣/٨٧.

(٧) انظر قطوف من ثمار الأدب للدكتور عبد السلام سرحان ٢/١١٨، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٦٥٣.

من أشعاره في عدة مواضع. وشعره يمتاز بالغريب والإغراق في البداوة كما أن شِعْرَه حافلٌ بذكر الأماكن والمواضع وأسماء الشجر ومنابع المياه ومجاريها.

٦- صَخْرُ الغَيِّ:

هو صخرُ بنُ عبد الله الخَيْثَمي، أحدُ بني خَيْثَم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. ولقب بصخر الغيّ لخلاعته وشدَّة بأسه وكثرة شَرِّه[١]. وهو من صعاليك هُذَيْل المشهورين وفرسانها المعدودين.

يروَى أن رجلاً من بني مُزَيْنَة كان جاراً لبني خُنَاعة بن سعْد بن هُذَيْل من بني الرَّمْداء، فقتله صخرُ الغيِّ، ويقال: إن المقتول كان جاراً لأبي المُثَلَّم الشاعر، فمشَى أبو المثلم إلى قومه وبعثَهم على مطالبته بدم جارهم المُزَنِيِّ والإدراك لثأره. فبلغ ذلك صخراً فقال قصيدة يذكر فيها أبا المثلَّم وما فعل، يقول فيها:

ولستُ عبداً للمُوعدِين ولا ... أَقْبَلُ ضَيْماً يَأْتي به أَحَدُ
جاءَتْ كبيرٌ كَيْمَا أُخَفِّرَهَا ... والقومُ صيدٌ كأنما رَمَدُوا
في المُزَنِيِّ الذي حَشَشْتُ به ... مالَ ضَريكٍ تِلادُهُ نَكِدُ
إنْ أَمْتَسِكْهُ فبالفِداءِ وإنْ ... أَقْتُلْ بِسَيْفي فإنَّهُ قَوَدُ[٢]

وقام بينَ صخرِ الغيِّ وأبي المثلَّم بسبب ذلك مناقضاتٌ طريفةٌ، وقد عرضنا لها في الفصل السابق.

وروي السُّكريُّ أن صَخْرَ الغَيِّ خرج في طائفة من قومه بعد مهاجاته أبا المثلَّم، فأغار على بني المُصْطَلِق من خُزاعة، فأحاطوا به وجُرَح[٣]، وقال شعراً في ذلك يتمنى فيه لو أن أصحابه - من بني معاوية من هُذَيْل - وأصحابه - من بني خُناعة من هُذَيل كذلك - كانوا معه، إذن لوَقَاهُ فرسانُهم ودافعوا عنه، ولم يتركوه في ذلك اليوم للذئاب العاوية، وهو قوله:

---

(١) الأغاني ٢٢ / ٣٨٠.
(٢) المرجع السابق ٢٢ / ٣٨١، وكتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٦٠.
(٣) كتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٨٠.

لو أنَّ أَصْحَابِي بنو مُعاويهْ أَهْلُ جُنُوبِ النَّخْلَةِ الشَّآميهْ
ورهطُ دُهْمَانَ ورهطُ عَادِيهْ مَا تَركُوني للذئابِ العَاوِيَهْ (١)

وجعل يرميهم ويرتجز ويقول:

لو أنَّ أَصْحَابِي بَنُوخُنَاعَهْ أَهْلُ النَّدَى والمَجْدِ والبَرَاعَهْ
تَحْتَ جُلودِ البَقَرِ القُرَّاعَهْ لَمَنَعُوا من هذه اليَرَاعَهْ (٢)

والطريفُ أنه في هذا الموقف الرهيب لا ينسى بقيةَ عشائرِ هُذَيل، فيذكر بني قُرَيْم وبني صاهلة، حتى ينقذوه من ذلك الهلاك المحقق، وكأنه بذلك يحثهم على أن يأخذوا بثأره من خُزاعة ولا يذهب دمُه هدراً، فيروى أنه قال أيضاً وهو يقاتلهم:

لَوْ أنَّ حَوْلِي من قُرَيْم رَجْلاَ بِيضَ الوجوهِ يحملونَ النَّبْلاَ
لَمَنَعُوني نَجْدَةً أو رِسْلاَ سُفْعَ الخُدُودِ لم يكونوا عُزْلاَ (٣)

وقال أيضاً:

لوْ أنَّ أَصْحَابِي بنو الصَّواهِلِ لَنَهْنَهُوا عنيِّ بِضَرْبٍ باسِلِ (٤)

فلم يزل يقاتلهم حتى قتلوه، وبلغ ذلك أبا المثلَّم الخُنَاعيَّ فأخذَ يرثيه بقصيدة يصفه فيها بالشجاعة والإقدام والجرأة والوفاء... حيث يقول:

لو كَانَ للدَّهْرِ مالٌ عندَ مُتْلِده لكانَ للدهرِ صَخْرٌ مَالَ قُنْيَانِ
آبِي الهَضِيمَةِ نابٍ بالعَظِيمَةِ متْـ ـلاَفُ الكَرِيمَةِ لا سِقْطٌ ولا وَانِي
حامِي الحَقِيقةِ نَسَّالُ الوَدِيقَةِ معْـ تَاقُ الوَسِيقَةِ جَلْدٌ غيرُ ثُنْيَانِ
رَبَّاءُ مَرْقَبَةٍ مَنَّاعُ مَغْلَبَةٍ رَكَّابُ سَلْهَبَةٍ قَطَّاعُ أَقْرَانِ

---

(١) الأغاني ٢٢ / ٣٨٤.

(٢) المرجع السابق والصفحة نفسها. القَرَّاعة: التراس الصلاب، اليراعة: الضعيف الذي ليس له قلب.

(٣) المرجع نفسه ٢٢ / ٣٨٥، وكتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٨٢، الرِّسْل: اللين، أي: لمنعوني بنجدة وشدة وعلى رِسْلهم بأهون سَعْي.

(٤) كتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٨٢. الباسل: الشجاع.

هَبَّـــاطُ أَوْدَيَةٍ حَـــمَّـــالُ أَلْوِيَةٍ شَـهَّـادُ أَنْدِيةٍ سِـرْحَـانُ فِـتْـيـانِ

يَحْـمِي الصِّحَـابَ إِذَا كَـانَ الضَّـرابُ ويَكْفِي القَـائلينَ إِذا مَـا كُـبِّلَ العَـانِي[1]

ويبدو في هذه الأبيات حزنُ أبي المُثَلَّم عليه، مع العلم أنه كان قد عاداه وهاجاه قبل ذلك بسبب قتله لجاره المُزَنيِّ. وهذا إن دَلَّ على شيء فإنما يدلُّ على تأثر عشائر هُذَيْل قاطبةً لمقتلِ صخرِ الغَيِّ على أيدي خُزاعة، ويظهر أن مقتلَه كان لديهم مصاباً فادحاً.

٧ -الأعـلـــمُ :

هو حَبيبُ بن عبد الله الهذليُّ، أخو صخرِ الغَيِّ وصُخَيْرٍ كذلك[2]. وهو شاعر محسن[3].

والأعلمُ أحدُ صعاليك هُذَيْل، ومن المعروفين بشدَّة العَدْوِ، فكان يعَدْو على رجليه عدواً لا يُلْحَق[4]، وله في ذلك قصص طريفة.

يروي السكريُّ[5] أنَّ الأعلَم خرج مع صاحب له حتى أصبحا تحت جبل يقال له "السِّطاع" في يوم من أيام الصيف شديد الحَرِّ، وهو متأبِّطٌ قُرْبَةً لهما فيها ماءٌ، فأَيْبَسَتْها السَّمُومُ، وعطشا حتى لم يكادا يُبْصِران من العطش، فقال الأعلم لصاحبه: اشرَبْ من القربة لعليِّ أردُ الماء فأشربُ منه، وانْظُرْني مكانَك، وكان بنو عَبْد بن عديّ بن الدِّيل من كنانة على ذلك الماء، وهو "ماء الأطواء". وكانوا في ظِلٍّ وهم مستأخرون عن الماءِ قَدْرَ رمية سَهْمٍ، فأقبل الأعلمُ يمشي متلثماً، وقد

---

(١) المرجع السابق ١ / ٢٨٤ - التلاد: المال العتيق، قُنيان: إمساك، آبي الهضيمة: يأبى أن يهضم حقه، متلاف الكريمة: ينحر الناقة ويطعمها، وان: فاتر ضعيف، الوديقة: شدَّة الحر، وينسل: يسرع فيها، معتاق الوسيقة: وهي الطريدة إذا طرد طريدةً أنجاها من أن تُدْرَك، ثنيان: ضعيف، السلهبة: الفرس الطويلة، حمال ألوية: يقود الجيوش، السرحان: الأسد في كلام هذيل.

(٢) المرجع نفسه ١ / ٣١١.

(٣) المؤتلف والمختلف ص١٣٢.

(٤) الأغاني ٢٢ / ٣٨١.

(٥) كتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ٣١١.

وضعَ سيفه وقوسَه ونبله بينه وبين صاحبه، فلما برزَ للقوم مشى رويداً مشتملاً. فقال بعض القوم: مَن ترونَ الرجل؟ فقالوا: نراه أحدُ بني مُدْلِجِ بن ضَمْرَة، ثم قالوا لِفَتىً من القوم: القَ الفتَى فاعْرِفْه، وقالَ بعضُهم إن الرجل آتيكم إذا شرِبَ فدعوه.

فأقبلَ الأعلمُ يمشي حتى رَمى برأسه في الحوض، مدبراً عنهم بوجهه، فلما رَوِيَ أفرغَ على رأسه من الماء ثم أعاد نقابه، ورجع في طريقه رويداً، وصرَخَ القومُ بعبْدٍ على الماء فقالوا: هل عرفتَ الرجلَ الذي صدرَ؟ قال: لا، قالوا: فهل رأيت وجهَهُ؟ قال: نعم، هو مشقوق الشفة! فعرفوا أنه الأعلمُ. وكان الأعلمُ قد صار بينه وبين الماء مقدار رمية سَهْمٍ، فَعَدَوْا في إثره وفيهم رجلٌ يقال له جَذيمة ليس في القوم مثله عَدْواً، فأغروه به وأطردوه فأعجزهم، ومرَّ على سيفه وقوسه ونبله فأخذها ثم مَرَّ بصاحبه فصاح به فَضَبَر معه فأعجزهم، وقال الأعلمُ في تلك العَدْوَة:

لَّما رَأَيْتُ القــومِ بالعَلْيَــاءِ دُونْ قــدَى المُنَاصِبْ

وفَـريتُ من فَزَعٍ فـلا أَرْمِي ولا ودَّعْتُ صـاحِبْ

يُغرُوَن صاحِبَهُمْ بِنَا جَهْداً وأُغْرِي غيرَ كاذِبْ[1]

إلى آخر هذه القصيدة التي تمثل نفسيته بدقة مع صاحبه وهما يفرّان من أعدائهما الذين يطاردونهما مطاردةً عنيفةً تستمر حتى ينتصفَ النهارُ، وحتى يصلا إلى منطقة الأمان. والواقعُ أن أروعَ ما في هذه القصيدة هو ذلك التحليلُ النفسيُّ الدقيق لنفسية الهاربِ المذكورِ والمطارِد الطامع في إدراكه. ثم حين تنجلي فرحته وتطمئن نفسُه بعد نجائه، وقد قال في هذه العَدْوَة قصيدةً أخرى لاميةً جميلةً عرضنا لها في الفصل السابق.

وتلقانا في شعْرِه صورٌ تدل على كرمه وإبائه وسُموِّ نفسه، فيُروى أنه نزلَ برجلٍ من بني زُلَيْفَةَ بن صُبْح بن كاهِلٍ من هُذَيل، يقال حُبْشيٌّ، وكان مع الأعلم أولاده الصغار، فلم يُضِفْه الرجلُ ولم يَقْرِه ولم يصنعْ به خيراً، فقال الأعلم في ذلك من أبيات:

---

(١) المرجع السابق ١ / ٣١٢.

أَحُبْشِيُّ إنَّا قد يُمَتِّعُنا الغِنَى بأَمْوالِنَا نُريحُهَا وَنُسِيمُهَا
ونَحْبِسُها على العَظَائِم نَتَّقِي بها دَعوَةَ الدَّاعِينَ إنَّا نُقِيمُها (١)

على أن الأعلم إذا كان من الصعاليك المشهورين، والعدائين المعروفين، فإنه كان يستهدف بغاراته تلك الطبقة من أولئك السمان المترفين الجبناء، ففي مقطوعة له مطلعها:

أَيَسْخَطُ غَزْوَنَا رجلٌ سَمِينٌ تُكَنِّنُهُ السِّتَارَةُ والكَنِيفُ (٢)

يرسم فيها صورةً ساخرة ولكنها طريفه لرجلٍ غني سمينٍ مُتْرَفٍ، يعيش بين الستائر والحظائر، وقد وجهت امرأتُه إليه كلَّ عنايتها حتى سمنته، فأصبح من صنعها، ولكنه مع ذلك ضعيفٌ جبانٌ، لو اخترق الصحراء لفَزَّعته شخوصها، وأصابه الرعبُ من أهوالها، لأنه يخاف من أولئك الصعاليك المتربصين به وبأمثاله في أرجائها. فهو لا يقصد من المجتمع في غاراته إلا أمثالَ تلك الطبقة التي تتمتع بالترف والدَّعَة، والتي تخلت عن الرجولة والشهامة والشجاعة والكرم.

أما أشعرُ شعراء هذيل المخضرمين والإسلاميين فهم:

٨- أبو ذؤيب:

وهو خُوَيْلِد بن خالد بن مُحَرِّث بن زُبَيْد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذَيْل بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضرَ بن نزار(٣).

وذكر الآمديُّ أنه خُوَيْلد بن خالد بن مُحَرِّث بن زُبَيْد بن مَخْزوم بن باهلة بن كاهل بن مازن بن معاوية بن تميم بن سَعد بن هُذَيْل(٤).

وذكر السُّكَّريُّ اسمه مختصراً فقال: "واسمه خُوَيْلد بن خالد بن مُحَرِّث بن مُضَر"(٥). وأما قول الرياشيّ -عن الأصمعيّ- أنه " أحد بني مازن بن عمرو بن الحارث بن تميم" فهو خطأ(٦).

---

(١) المرجع نفسه ١/٣٢٦.
(٢) المرجع نفسه ١/٣٢٨.
(٣) الأغاني ٦/٢٥٠.
(٤) المؤتلف والمختلف ص١٧٣.
(٥) كتاب شرح أشعار الهذليين ١/٣.
(٦) المرجع السابق والصفحة نفسها.

ويقال إنه كان أَسْجَرَ العَيْنَيْن جاحِظَهما، قصيراً أحمر[1]. وقد نشأ مع أهله في السَّرَوات، وهي هضابٌ عاليةٌ تفصل بين تهامة ونَجْدٍ، وكان موطنهم قريباً من جبل "غزَوان" بالطائف، ذات الجواء الْمُلْسِ والرياح الرَّخاء، والأقسام المعلَّلة، والأمزجة المعتدلة. وقد كان لهذه البيئة كلُّ الأثر في تكوينه وتلوينه، وفي شجاعته وبلاغته، وعاطفته ورقته، وهيامة وغرامه، ونسيبه وتشبيبه[2].

وهو شاعرٌ فَحلٌ مَخَضْرَمٌ أدركَ الجاهليةَ والإسلامَ، ولا خلافَ بين العلماء في أنه جاهليٌّ إسلاميٌّ، فقد كان "في حياته الأولى ملازماً دياره، مصادقاً نجاده وأغواره، حتى شعَّت شمسُ الإسلام المشرقة، ولمعت بزَّته المونقة، فأسرع إليها، وأُهْرِعَ نحوها، واتجه نحو أضوائها في إعجال غريب، حيث جذبته "المدينة المنورة" إليها، وأقبلَ بقلبه عليها، ورأى أن يجدِّدَ بالإسلام إهابه، ويطهِّرَ مما كان ثيابه، ويَمْري من الدين الجديد أخلافه، ويلبس برُوده وأفوافه، حتى يقترب حقيقةً من الله، ويَعْظُمَ بذلك له الجاه، فإن في ذلك أملَه ومتمناه. وقد سكتَ تاريخُ الصَّحابة عن أن يسجِّلَ له صحابة، ولم يذكر أحدٌ عنه أنه شرف بلقاء شخص سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه"[3].

وأبو ذؤيب هو أشعرُ شُعراء هُذَيْلٍ، دون مُدافِع، قال محمد بن سلاّم: " كان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً، لا غميزة فيه ولا وهن. قال أبو عمرو بن العلاء: سُئل حسان بن ثابت: من أشعرُ الناس؟ قال: أَحَيّاً أم رجلاً؟ قالوا: حيّاً: قال: أشعرُ الناس حيّاً هُذَيْلٌ، وأشعرُ هُذَيْلٍ غير مُدافِع أبو ذؤيب. قال ابن سلاّم: ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله"[4]. ويريد ابن سلاّم بكلمته الأخيرة أنه يقول ما قاله حسان ويذهب إليه.

على أن بعضَ الأدباء يرى أنه كان أشعر العرب قاطبة[5]، قال أبو عُبيدة، وجد كتاب يقال له" المجلة" وإذا فيه " ألا أن أشعرَ العرب أبو ذؤيب، وما أنت وأبو ذؤيب؟!

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها، والسُّجْرَةُ: حُمرةٌ في بَياض.

(٢) انظر قطوف من ثمار الأدب للدكتور عبد السلام سرحان ٢/١٠٥-١٠٦.

(٣) المرجع السابق ٢/١٠٦.

(٤) الأغاني ٦/٢٥٠.

(٥) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/١٦٩.

وأبو ذؤيب بنعمان السَّحاب"[1]. والمراد أن أبا ذؤيب يعلو الشعراءَ ويسمو سموَّ السَّحاب.

والواقعُ أنَّ هذا الشاعرَ في الذّروةِ من شعراء العرب المشهورين، وأنه أشعرُ شعراءِ هُذَيْل وأقواهُم شاعريَّةً، وأن ما وصل إلينا من شعْرِه يمثلُ أكبرَ كميةٍ من الشِّعْرِ وصلت لأيّ شاعرٍ من هُذَيْلٍ، فقد كان شاعراً مُكْثِراً، ومُطيلاً في كثيرٍ من قصائده، وقد عدَّه ابنُ سلاّم من شعراء الطبقة الثالثة[2]. وكان فصيحاً كثير الغريب، متمكناً في الشِّعْرِ كلَّ التمكنِ، ولا عجبَ فإن مكانتَه الأدبية "في المحل الأرفعِ، وفي المقام الأتلع، وعلى النجاد الأسنع، وله من التراكيب والأساليب ما يشبه الأعاجيبَ من الطَّرزِ الغريب، ويُعَدُّ شعْرُه سجلاً ضخماً للكلمات اللغوية التي نطقَ بها العربُ الأَقحاحُ في البيئة العربية الخالصة"[3]. وقد كان أبو ذؤيب راوية لساعدة بن جؤية[4]، ولعلَّ هذا هو السببُ في كثرة الغريبِ في شعرِه وقد سبق أن عرفنا أن شِعْرَ ساعدة "محشوٌّ بالغريبِ والمعاني الغامضة"[5].

ولقد ارتفع أبوذؤيب بفضل عينيته المشهورة عند الأدباء والنُّقاد، قال عمرُ بن شَبَّة: "تقدم أبو ذؤيب جميعَ شُعراءِ هُذَيْلٍ بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه"[6].

ويقول أستاذنا الدكتور عبد السلام سرحان: "ويعتبرُها أكثرُ أهلِ الأدب أروعَ وألمعَ، وأبدعَ وأبرعَ، وأسطعَ وأنصع شعرٍ قيل في الرثاء، وهي في تسكابها المُنهل، وتهطالها المنفعل، تُعَدُّ نسيجَ وحدها، وابنةً وجدها، وفريدةَ عصرها، ووحيدةَ دهرها، إلى حدٍّ جدٍّ بعيد. وقد قال الأَصمعيّ وأبو عمرو بن العلاء وغيرُهما: أبرعُ بيتٍ قالته العربُ قولُ أبي ذؤيب:

والنَّفْسُ راغِبَةٌ إذا رَغَّبْتَهَا ... وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

---

(١) نقائض جرير والأخطل ص٣٠.
(٢) طبقات الشعراء ص٢٩.
(٣) قطوف من ثمار الأدب د. عبد السلام سرحان ٢ / ١٢٠.
(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ / ٦٥٣.
(٥) المؤتلف والمختلف للآمدي ص١١٣.
(٦) الأغاني ٦ / ٢٥١.

كذلك قالوا : إن أحسن ما قيل في الصبر قوله :

وتَجَلُّدي للشـــامِـــتينَ أُرِيهِمُ أَنِّي لِرَيْبِ الدهرِ لا أَتَضَـــعْـضَعُ (١)

ولقد وفد أبو ذؤيب على النبي ﷺ في مرض موته، فمات النبيُّ عليه السلام قَبْلَ قدومه بليلة، أدركه وهو مُسَجّىً، وصلَّى عليه وشهدَ دفنَه(٢). ويروى عنه أنه قال: "بلغنا أنَّ رسول الله ﷺ عليل، وقعَ ذلك إلينا عن رجلٍ من الحَيِّ قدم معتمّاً، فأوجسَ أهلُ الحَيِّ خيفةً، وأسعرنا حزناً، فبت بليلة باتت النجومُ بها طويلة الأَناة، لا ينجابُ ديجورُها ولا يطلعُ نورُها، فظلَلْتُ أُقاسِي طولَها، وأقارعُ غولَها، حتى إذا كان دوين السَّفَرِ، وقربَ السَّحَرِ خفت فهتف هاتف وهو يقول:

خَطْبٌ أَجَلُّ أَناخ بالإِســـلامِ بين النخيلِ ومقعدِ الآطامِ

قُبِضَ النبيُّ محمدٌ فعيونُنَا تَذْرِي الدموعَ عليه بالسَّجَّامِ

قال أبو ذؤيب: فوثبتُ من نومي فزعاً فنظرتُ إلى السماء فلم أَرَ إلا سَعْدَ الذابح، فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب، وعلمتُ أنَّ النبيَّ ﷺ قد قُبِضَ أو أنه ميت، فركبتُ ناقتي فسرتُ فلما أصبحت طلبتُ شيئاً أزجره، فعَنَّ لِيَ القنفذُ قد قبض على صلٍّ - يعني حَيَّةً- فهي تتلوى عليه والقنفذ يقضمه حتى أكلَه، فزجرت ذلك وقلت: تلوِّى الصلّ انفتال الناس عن الحقِّ على القائم بعدَ رسول الله، ثم أَوَّلْتُ أَكْلَ القنفذ له غلبة القائم على الأمر(٣). والحديث طويلٌ ذكرَ فيه حضوره في سقيفة بني ساعدة، ومبايعة أبي بكر رضي الله عنه(٤).

وقد أنشد أبو ذؤيب يبكي النبيَّ ﷺ في أبيات منها:

كَسَفَتْ لِمَصْرعِه النجومُ وبدرُها وتَزَعْـــزَعتْ آطامُ بطنِ الأبطُحِ

وتَزَعْزَعت أجْبالُ يثربَ كلُّها ونخيلُها لحلولِ خَطْبٍ مُفْدِحِ

ولقد زَجَرْتُ الطيرَ قبل وفاتِه بمصابِه وزَجَرْتُ سَعْدَ الأذبَحِ (٥)

---

(١) قطوف من ثمار الأدب د. عبد السلام سرحان ٢ / ١٢١.

(٢) خزانة الأدب ١ / ٤٢٣.

(٣) معجم الأدباء ٤ / ١٨٥.

(٤) انظر الروض الأنف للسهيلي ٧ / ٥٩٢.

(٥) المرجع السابق ٧ / ٥٩٣.

وكان أبو ذؤيب قد أسلمَ وحسن إسلامه، واشترك في الفتوحات الإسلامية، ويروى أنه خرج وغزا أرضَ الروم مع المسلمين، فلما رجعوا من الغزو حضرته الوفاةُ في قصة طويلة يرويها صاحب الأغاني[1]، وقال وهو يجودُ بنفسه مخاطبا ابن أخيه أبا عُبَيْد:

أبا عُبَيْدٍ رُفِعَ الكتابُ ... واقتَرَبَ الموعِدُ والحِسَابُ
وعند رَحْلي جَمَلٌ مِنْجَابُ ... أَحْمَرُ في حاركِهِ انْصِبابُ[2]

ويقال: إنه خرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات، فدلاّه ابن الزبير في حفرته[3]، ويقال: إنه مات في زمن عثمان بن عفان في طريق مصر، ودفنه ابن الزبير[4]. وذكر الزركلي أنه مات سنة ٢٧هـ / ٦٤٢م[5].

٩- أبو خِراش:

هو خُويلد بن مُرّة، أحد بني قِرْدِ بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سَعْد بن هُذَيْل[6]. وهو أحدُ فرسان العرب وفتاكهم، وقد أسلم وهو شيخٌ كبير وحسن إسلامه، ويقال: إن إسلامه كان يوم حنين[7].

وهو شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء، مخضرم أدركَ الجاهليةَ والإسلامَ، فأسلم وعاش بعد النبيِّ ﷺ مدة، ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[8]. وهو صحابي[9]، وذكره ابن حجر في القسم الثالث من الإصابة، وهم المخضرمون الذين لم يرد في خبرٍ قطُّ أنهم اجتمعوا بالنبيِّ ﷺ[10].

---

(١) الأغاني ٦ / ٢٦٢.
(٢) المرجع السابق ٦ / ٢٦٣.
(٣) الشعر والشعراء ٢ / ٦٥٣.
(٤) كتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ٣.
(٥) الأعلام ١ / ٣٠٠.
(٦) كتاب شرح أشعار الهذليين ٣ / ١١٨٩.
(٧) خزانة الأدب ١ / ٤٤٣.
(٨) الأغاني ٢١ / ٢٣٠.
(٩) ديوان الهذليين ٢ / ١١٦.
(١٠) الإصابة ٢ / ١٥٢، والخزانة ١ / ٤٤٣.

وكان أبو خراش ـ في الجاهلية ـ من الصعاليك المعدودين، والعدائين المشهورين، وكان ممن يَعْدُو فيسبقُ الخيلَ في غاراتِ قومه وحروبهم، ولا نزال نذكر ما رواه الأصمعي من أن أبا خِراشٍ دخلَ مكة، وللوليد بن المغيرة المخزومي فَرَسان يريدُ أن يرسلَهما في الحلبة، فقال للوليد: ما تجعل لي إن سبقتهما؟ قال: إن فعلت فهما لك، فأرسلهما، وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما[1]. ولقد تحدث أبو خراش كثيراً عن هذه الخاصة في أشعاره، مما يدل على أنه كان يعجب بها إلى حدٍّ جدٍّ بعيد.

وكثيراً ما تلقانا في أشعاره صور للشجاعة والفروسية، ورسوم للصبر على الشدائد، لا سيما الصبر على الجوع وقوته واحتماله، ولا زلنا نذكر ما رواه صاحبُ الأغاني[2] من أنه أقفر من الزاد أياماً ثم مرَّ بامرأة من هذيل، فأمرت له بشاة ذبحت وشويت، فلما وجد بطنه ريح الطعام قَرقَر، وكأنه قد سالَ لعابُه، فحرمَ نفسه من الطعامِ وأقسم ألا يأكل شيئاً منه ثم قال:

وإنِّي لأُثْوِي الجوعَ حتى يَملَّني ... فيذهَبَ لم يُدْنِسْ ثيابي ولا جرْمِي
وأغْتَبِقُ الماءَ القَراحَ فأَنْتَهِي ... إذا الزَّادُ أَمْسَى لِلمُزَلَّجِ ذا طَعْمِ
أَرُدُّ شُجاعَ البَطْنِ قد تَعْلَمِينَهُ ... وأُوثِرُ غيري من عِيالِكِ بالطُّعْمِ
مخافَةَ أَنْ أحْيا برَغْمٍ وذِلَّةٍ ... ولَلْمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ على رَغْمِ[3]

وكان أبو خراش شاعراً مجيداً مكثراً، وقد وصلنا من أشعاره الكثيرُ من القصائد والمقطعات، وأكثرُ شعرِه يدور حولَ وصف الحيوان والعَدْوِ والفرار والرثاء، ثم حديث الغارات والغزوات التي كان يقوم بها في الجاهلية مع أصحابه الصعاليك، ثم موازنة عَدْوِه بعَدْوِ صنوف الحيوان حينئذٍ.

وكثراً ما ظهر التأثرُ بالإسلام في أشعاره، فنراه حين هاجر ابنُه خِراش وغزا مع المسلمين وأوغلَ في أرضِ العدو، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب ـ يقدم إلى المدينة ويجلس بين يدي عمر بن الخطاب، وكان أبو خِراش يومئذ شيخاً كبيراً ـ فيشكو إليه

---

(١) الأغاني ٢١/٢٣٣.
(٢) تفصيل القصة في الأغاني ٢١/٢٣٨.
(٣) المرجع السابق ٢١/٢٣٩.

شوقه إلى ابنه خراش، وأنه رجل قد قُتِل إخوتُه وانقَرَضَ أَهلُه، ولم يبقَ له ناصرٌ ولا معين غيرُ ابنه الذي غزا وتركه[1].

وتظهرُ اللوعةُ لفراق ابنه خراش، فنراه حين يشكو إلى عمر ويعرضُ مشكلته يستلهم حجته من القرآن الكريم، فليس من البرِّ أن يتركَه ابنُه ويذهبَ للغزو ليفوزَ بالشهادة في سبيل الله، في حين أنه شيخٌ كبيرٌ تقدَّمَ به العمرُ،وضعف حتى إنه لا يجد من يُعنَى به، فالبرُّ أن يقيم ابنُه خراش بجانبه ليرعاه ويقوم على خدمته، وفي حديثه لابنه تتجلى روحُ الإسلام واضحة، ويظهر فيه تأثره بالإسلام، وما يقوله في هذا:

أَلا فاعْلَمْ خراشُ بأَنَّ خَيْرَ الـ ... مُهاجِرِ بَعْد هِجْرَته زَهِيدُ

فإنك وابْتِغاءَ البِرِّ بعدي ... كَمَخْضوبِ اللَّبانِ ولا يَصِيدُ[2]

ويرجح الدكتور يوسف خليف[3] أنه استوحى معنى البيتين السابقين من قوله تعالى: ﴿ **وقَضَى ربُّكَ ألاَّ تعبدوا إلا إياهُ وبالوالدين إحساناً، إما يَبْلُغَنَّ عندكَ الكِبَرَ أَحَدُهُما أو كلاهُما فلا تَقُلْ لهما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما وقُلْ لهما قولاً كريماً. واخْفِضْ لهما جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَةِ وقُلْ ربِّ ارْحَمْهُمَا كما ربَّياني صغيراً** ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

ولهذا أمرَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بأن يعودَ خراشُ إلى أبيه وألا يغزو مَن كان له أبٌ شيخٌ إلا بعد أن يأذنَ له[4].

ومع ذلك نرى في بعض شعره ذكريات للعهد الماضي في الجاهلية، وما كان فيه من الصعلكة وما يلزمها من العَدْوِ في الغارات والغزوات. ومن الطريف أنه بعد أن أسلمَ وَحسُنَ إسلامُه، وبعد أن عاش في الإسلام مدةً امتدت به حتى خلافة عمر بن الخطاب، نراه يحزن حزناً شديداً على ساقه التي نهشتها حَيَّةٌ، وقد ماتَ بسبب ذلك في قصةٍ مشهورة[5].

---

(١) المرجع نفسه ٢١ / ٢٥٠ .

(٢) كتاب شرح أشعار الهذليين ٣ / ١٢٤٣ .

(٣) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص٢٥٨ .

(٤) الأغاني ٢١ / ٢٥١ .

(٥) المرجع السابق ٢١ / ٢٥٢ .

فنراه في هذا الموقف الرهيب بين الحياة والموت لا يأسفُ على شيء كما يأسف على ساقه التي طالما أسْعَفَتْه في حياته، وفي غاراته وغزواته، وكان لها عليه فضل أيّ فضلٍ، فقال:

لَعَمْرُكَ والمَنَايا غالِبَاتٌ ... على الإنسان تَطْلُعُ كلَّ نَجْدِ
لقد أهْلَكْتِ حَيَّةَ بَطْنِ أَنْفٍ ... علَى الأصْحابِ ساقاً ذاتَ فَقْدِ

وقال أيضاً:

لقد أهْلَكْتِ حَيَّةَ بَطْنِ أَنْفٍ ... علَى الأصْحابِ ساقاً ذاتَ فَضْلِ
فما تَرَكَتْ عَدُوّاً بَيْنَ بُصْرَى ... إلى صَنْعاءَ يَطْلُبُهُ بِذَحلِ (١)

١٠- أبو كَبير:

هو عامر بن الحُلَيْس، أحد بني سَعْد بن هُذَيْلٍ، ثم أحد بني جُرَيْبٍ(٢)، وقال ابن قتيبة: "هو عامر بن الحُلَيْس، وهو جاهلي"(٣).

وهو شاعر صحابي(٤) اشتهر بكنيته،وفي الإصابة ذكره أبو موسى في الصحابة، وقال: "ذكر عن أبي اليقظان أنه أسلم، ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال: أَحِلَّ لي الربا! قال: أتحب أن يؤتى إليك مثل ذلك؟ قال: لا، قال: فارض لأخيك ما ترضى لنفسك، قال: فادع الله أن يذهب عني"(٥).

وهو شاعرٌ مجيد محسنٌ من شعراء هُذَيل، وله أربع قصائد أولُها كلُّها شيء واحدٌ ولا نعرف أحداً من الشعراء فعلَ ذلك.

إحداهن:

أزُهَيْرُ هل عَنْ شَيْبَةٍ من مَعْدِلِ ... أم لا سبيلَ إلى الشبابِ الأوَّلِ

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(٢) كتاب شرح أشعار الهذليين ٣/١٠٦٩.
(٣) الشعر والشعراء ٢/٦٧٠.
(٤) الخزانة ٣/٤٧٣ ط. بولاق.
(٥) الإصابة ٧/١٦٢.

والثانية:

أَزُهَيْرَ هل عن شيبةٍ من مُقْصِرِ أم لا سبيلَ إلى الشبابِ المُدْبِرِ

والثالثة:

أَزُهَيْرَ هل عن شيبةٍ من مَصْرِفِ أم لا خُلودَ لباذلٍ مُتَكَلِّفِ

والرابعة:

أَزُهَيْرَ هل عن شيبةٍ من مَعْكِمِ أم لا خُلودَ لباذلٍ مُتَكَرِّمِ(١)

والشاعر في قصائده يخاطب ابنتهُ زُهَيرَةَ، ويبكي شبابه الذاهب الذي مضى ولن يعود، وقد عرضنا لبعض قصائده في الفصل السابق.

١١-مَعْقِل بن خُوَيْلِد:

هو مَعْقِل بن خُويلد بن واثلة بن مِطْحَل السَّهْمِيُّ، أحد بني سَهْم بن معاوية من هُذَيْل(٢). وذكر المرزباني " أنه مخضرم وكان سيِّدَ قومه"(٣). ولهذا كان مطاعاً في قومه، وذا نخوة ونجدة وشهامة.

ويروي السُّكّريُّ أنه كان بين بني لِحْيان وبين بني سُلَيْم حربٌ دائمةٌ، بينما كان بين بني سُلَيْم وبين بني سَهْم بن معاوية من هُذَيْل موادعةٌ، فَهَمَّتْ بنو سُلَيْم بغزو بني لِحْيان من هُذَيْل فلما بلغَ ذلك مَعْقلاً، جمع لبني لِحْيان ألف رجل من قومه بني سَهْم. فقالت بنو سُلَيْم لِمَعْقِلٍ: "أتريدُ أن تَنْصُرَ بني لِحْيان علينا، وبيننا وبينكم ما قد عَلِمْتم؟.

فأجابهم مَعْقلٌ: " وهَل يُسْلِمُ القومُ بني عَمِّهم؟ إن تُقْصِروا عنهم فنحن على ما كُنّا عليه، وإن تقاتلوهم لا نَخْذُلْهم".

فانصرفَ القومُ عنهم، بعد أن عرفوا أن مَعْقِلاً لن يَخْذُلَهُمْ. ومن شِعْرِ معقل في ذلك مقطوعة مطلعها:

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ / ٦٧٠.

(٢) كتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٧٥.

(٣) معجم الشعراء ص٢٧٦.

تقـولُ سُلَيْمٌ سـالِمُـونا وحـاربوا هُذَيْلاً ولم تَطْمَعْ بذلكَ مَطْمَـعَـا (١)

ويظهرُ من أخباره أنه لم يكن سيِّداً في هُذَيْل فحسب، ولكنه كان من رجالات العرب، وكان لا يتوانى في تقديم الخدمات من أجل المصالح العربية. ويروي السُّكَّريُّ أن أبا يَكْسُوم ـ ملك الحبشة ـ لما خرج بالفيلِ هو وقومه يريدون الكعبةَ، كانوا لا يمرون على حيٍّ من العرب إلا أخذوا منهم ناساً، حتى إذا بلغوا المُغَمَّس من جانب الحرم، حبس اللهُ الفيلَ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ففرَّ من ملوك اليمن ناسٌ كثيرون من كِندة وحِمْيَرَ والحبشِ في جبال هُذَيْلٍ فقُتلوا وأسِروا. ورجع ملك الحبشة إلى اليمن من المُغَمَّس في بني كِنانة، وكان لا يمر على قبيلةٍ إلا أخذَ منهم مَنْ يَرْتَهِنُهم. فذهبت بنو كِنانة إلى هُذَيْلٍ وطلبوا منهم أن يخرجوا بمن كان عندَهم من أُسَرَاءِ كِندةَ وحِمْيَرَ والحبشِ، فخرج بالأسرى مَعْقِلُ بن خويلد، وغافل بن صخر من بني قُرَيْم بن صاهلة حتى قَدِموا بهم على أبي يَكْسوم، فافتدوا أُسَرَاءَ بني كِنانة. وقال معقل بن خويلد في ذلك قصيدة مطلعها:

إمَّـا صَـرَمْتَ جَـديدَ الحِـبَـا لِ منّا وغَـيَّـرَكَ الآشِبُ (٢)

وذكر الأصمعي أن الوافدَ إلى ملك الحبشة هو خُوَيْلدُ بن واثلةَ بن مطحل، وهو أبو معقل هذا(٣).

والمعروف لدى مؤرخي الأدب أنه شاعرٌ مشهور ومكثر، وقد وردت له أشعار كثيرة في أشعارِ الهذليين.

١٢-مُلَيْح بن الحَكَم القِرْدي:

هو مُلَيْح بن الحَكَم بن صَخْرِ بن أُقَيْصِر بن عُمَيْر بن زيد بن إياس بن سَهْمٍ القِرْدي، أحدُ بني قِرْد بن معاوية بن تميم بن سَعْد بن هُذَيْل(٤). وذكر المرزباني أنه "المُلَيْحُ بن الحَكَم الهذليُّ، أحدُ بني قِرْدِ بن معاوية. وإنه شاعرٌ إسلاميّ(٥).

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٧٥.

(٢) المرجع السابق ١ / ٣٨٩.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المرجع نفسه ٣ / ٩٩٩.

(٥) معجم الشعراء ص٤٤٩.

ويعد من مشهوري الشعراء على الرغم من أنه لم يحظَ بعناية العلماء بالترجمة له، وكان مكثراً وله مطولاتٌ عديدةٌ، وشعره يمتازُ بالغريب فهو شعرٌ بدوي اللفظ والأسلوب، مع أنه مصبوب في قوالب التشبيب والغزل، بل إنه كله من هذا الفن، حيث يصف ناقتَه التي تسير به إلى محبوبته، والطريقَ الذي سار فيه إلى صاحبته، أو يصف الظعنَ والإقامة ونحوهما مما يتصل بالحبيب، وطرائق الوصول إليه، وألوان الحياة معه، غير أن غزلَه ساذج يمثل حياة البادية خيرَ تمثيل، ولنقرأ معاً قوله:

وأَتْبَعْتُ الظَّعائنَ طَرْفَ عَيْنٍ ... عُلالَةُ دَمْعِها نَضرٌ غَزِيرُ

غَداةَ جَرَتْ لنا بفِراقِ سُعْدَى ... ظِباءُ الجِزْعِ سانحةً تَعِيرُ

ظِباءٌ غيرُ ساكنةٍ وَحُمٌّ الـ ... ـخَوافِي حَتْمُها عَجِلٌ عَسِيرُ

وشَحَّاجٌ يَنُوءُ لِمَنْكِبَيْهِ ... أَحَمُّ كأَنَّهُ فَرَسٌ مُغِيرُ

نذيرَا البَينِ قد عَلِما بِسُعْدَى ... وأيامُ الفِراقِ لها نَذِيرُ[1]

إلى آخر هذه القصيدة التي تمثل حبّه للبادية، مثل غيرها من القصائد الكثيرة التي يتحدث فيها عن حبِّه وآثارِه البعيدة المَدَى.

١٣-أبو العيال:

هو أبو العيال بن أبي غُثَيْر - كما ذكر السُّكريُّ - وهو من بني خُناعة بن سَعْد بن هُذَيْل[2]، وقال الأصمعي: "ابن أبي عُتَيْر"[3]، وفي الأغاني: أبو العيال الهُذَليُّ هو ابن أبي عنترة، وقال أبو عمرو الشيباني: ابن أبي عنثرة - بالثاء - وهو أحدُ بني خُنَاعة ابن سَعْد بن هُذَيْل[4].

وكان أبو العيال شاعراً فصيحاً مقدماً من شعراء هُذَيْل، ومخضرماً، أدركَ الجاهلية والإسلامَ، ثم أسلم فيمن أسلمَ من هُذَيْل، وعُمِّرَ إلى خلافة معاوية[5]. وفي

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين ٣ / ١٠١٠ نضر: حسن، تعير: تذهب، حُمّ الخوافي: يريد الغربان، حتمها: قضاؤها.

(٢) المرجع السابق ١ / ٤٠٧.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٤) الأغاني ٢٣ / ٣٩٧.

(٥) المرجع السابق والصفحة نفسها.

الإصابة " وغزا مع يزيدَ بن معاوية الرومَ، وكتب إلى معاوية قصيدةً قالها في تلك الوقعة"(١).

وروي أنه خرج إلى مصر هو ورجل آخر من بني خُناعة يقال له بدر بن عامر وذلك في خلافة عمر بن الخطاب(٢)، وسكنا مصر، وبينما كان ابن أخ لأبي العيال قائماً عند قوم يَنْتَضلون، إذ أصابه سهمٌ فقتلَه، فخاصم أبوالعيال في دمه، واتهم بدرَ بن عامر في أن يكون ضَلْعُه مع خصمائه، وخاف أن يُعينهم عليه(٣). فبلغ ذلك بدراً وحدَثَ بينهما نقائضُ ـ يطولُ ذكُرها ـ وقد سبق أن تعرضنا لها في الفصل السابق.

وقد اشترك أبو العيال في الفتوحات الإسلامية، ويروى أنه قد حُصِر ببلاد الروم في زمن معاوية، فكتب إليه كتاباً، فقرأه معاويةُ على الناس، وفيه يقول:

مِنْ أبي العيالِ أَخي هُذَيْلٍ فاسْمَعُوا ... قَوْلي ولا تَتَجَمْجَمُوا ما أُرْسِلُ

أَبْلِغْ مُعاويةَ بنَ صَخْرٍ آيَةً ... يَهوِي إليْه بها البَرِيدُ الأَعْجَلُ (٤)

إلى آخر هذه القصيدة التي يشرح فيها ظروفَه بدقةٍ إلى معاوية، ويبين له ما يواجهه من صعوبات.

وقال يرثي ابن عمٍّ له يقال له: عَبْدُ بن زُهرةَ الهذليُّ، وكان قد قتله الرومُ بالقسطنطينية في زمن معاوية(٥) ـ ويقال إن المرثي كان أخاه لأمه ـ(٦):

فَتىً ما غَادرَ الأَقْوامُ لا نَكْسٌ ولا جَنَبُ

ولا زُمَّيْلَةٌ رِعديدَةٌ رَعِشٌ إذا رَكِبوا(٧)

وهي قصيدة طويلة وقد عرضنا لها قبل ذلك.

---

(١) الإصابة ٧/١٤٣.
(٢) ديوان الهذليين ٢/٢٥٦.
(٣) كتاب شرح أشعار الهذليين ١/٤٠٧.
(٤) المرجع السابق ١/٤٣٣.
(٥) المرجع نفسه ١/٤٢٣.
(٦) الأغاني ٢٣/٣٩٨.
(٧) كتاب شرح أشعار الهذليين ١/٤٢٣.

١٤- أُمَيَّةُ بن أبي عائذ :

هو أمية بن أبي عائذ العَمْري، أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذَيْل[١]. وقال السُّكريُّ: " أميه بن أبي عائذ الهُذَليّ وهو إسلامي "[٢].

وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية[٣]، وأحدُ مُدّاحهم، فقد كان أمية أحدَ مُدّاحِي بني مَرْوان، وله في عبد الملك وعبد العزيز ابنَيْ مروان قصائد مشهورة[٤].

وذكر ابنُ الأعرابي أنه وفد على عبدِ العزيزِ في مصرَ وكان قاصداً له، وامتَدَحه بقصيدته التي أَولها[٥]:

أَلا إنَّ قَلْبِي لَدَى الظَّاعِنِينَا حَزينٌ فَمَنْ ذَا يُعَزِّي الحَزِينَا

وهي قصيدة طويلة تبلغ واحداً وخمسين بيتاً.

وهو شاعر مجيد، يكثر في شعره الغريبُ الذي عهدناه في البادية يوم لم تكن هُذَيْلٌ تختلط بأحدٍ، ولقد كان بحقٍّ شاعراً يعشق الباديةَ، ويروى أنه لما طال مقامه عند عبد العزيز في مصرَ ـ وكان عبدُ العزيز يأنسُ به، وقد وصلَه بصلاتٍ سنيةٍ ـ تشوق إلى البادية وإلى أهله، فقال:

متَى راكبٌ من أهلِ مصرَ وأَهْلُه بِمكَّةَ من مَصْرَ العَشيَّةَ راجعُ

بلى إنَّها قد تقطع الخِرْقَ ضُمَّرٌ تُباري السُّرَى والمُعْسِفونَ الزَّعازعُ

إلى آخر هذه الأبيات التي يتجلى فيها الشوق والحنين إلى البادية وإلى أهله. فقال له عبد العزيز : اشتقْتَ والله إلى أهلك يا أمية، فقال: نعم والله أيها الأمير، فأذن له ووصله[٦].

---

(١) الأغاني ٢٣/١٦٣.
(٢) كتاب شرح أشعار الهذليين ٢/٤٨٧.
(٣) خزانة الأدب ٢/٤٣٥.
(٤) الأغاني ٢٣/١٦٣.
(٥) المرجع السابق والصفحة نفسها.
(٦) المرجع نفسه ٢٣/١٦٥.

١٥- أَبـو صَخْـــر:

هو عـبـد الله بن سَلْمـة السَّـهْـمي، أحـدُ بني مُـرَمَّضٍ ـ من هُذَيْل ـ هذا مـا قـاله السُّكَّرِيُّ[١]. وقال صاحب الأغاني: " هو عبد الله بن سَلم السَّهْميُّ أحد بني مُرَمَّضٍ، وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في نسخة السُّكَّرِيِّ[٢].

وهو شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية، وكان متعصباً لبني مروان موالياً لهم[٣]، وله في عبد الملك بن مروان وأخيه عبد العزيز، وعبد العزيز بن خالد بن أسيد مدائح كثيرة.

وأخباره تؤكد أنه كان مُحبّاً للأمويين، شديدَ التعصب لهم، ويظهر ذلك جليّاً في مدائحه التي أَسْداها لهم،ويروي صاحبُ الأغاني قصة خلاصتها: أن أبا صخر وهذيلاً جاؤوا إلى عبد الله بن الزبير ليقبضوا عطاءهم، حين غلب ابن الزبير على الحجاز، وكان ابنُ الزبير عارفاً بهوى أبي صخرٍ في بني أمية، فمنعه عطاءه، وحدث بينهما هُجْرٌ من القول، فحبسه ابنُ الزبير في سجن عارم، ثم أطلقه بعدَ سنة، فلما وَلِيَ عبد الملك وحجَّ لقيه أبو صخرٍ فقرَّبه وأدناه وأنشده قصيدة مطلعها:

عَفَتْ ذاتُ عِرْقٍ عَصْلُها فرِئَامُها فدهناؤُها وَحْشٌ وأَجْلَى سَوامُها [٤]

وهي قصيدة طويلة بلغت اثنين وثلاثين بيتاً في أشعار الهذليين، والشاعر فيها يمدحُ عبدَ الملك ويهجو ابنَ الزبير ويصفه بالفساد والإلحاد، وقد عرضنا لها سابقا.

وأبو صخر شاعر مشهور وله كثيرٌ من القصائد الطويلة والمقطعات القصيرة، وشهرتُه بالغزل شهرةٌ عريضة، فله قصائد عديدة في الغزل، وذكر محاسن المحبوب، وتظهرُ على أسلوبه ملامحُ البادية واضحةً جليةً، كما تظهر فيه اللوعةُ والحسرة لفراق المحبوب. ويُرَوى أنه كان يهوى امرأةً من قُضاعة مجاورة فيهم يقال لها: ليلى بنت سَعْد، وتكنى أمّ حكيم، وكان يتواصلان برهة من دهرهما، ثم حدث أن تزوجت ورحلَ بها زوجُها إلى قومه، فقال أبو صخر في ذلك:

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين ٢ / ٩١٥.
(٢) الأغاني ٢٣ / ٢٦٨.
(٣) المرجع السابق والصفحة نفسها.
(٤) المرجع نفسه ٢٣ / ٢٧٠.

أَلَمَّ خيالٌ طارقٌ متأوِّبُ ... لأُمِّ حكيمٍ بعدما نِمْتُ مُوصِبُ

وقد دَنَتِ الجوزاءُ وَهْي كأَنَّها ... ومِرْزَمُها بالغَوْرِ ثَوْرٌ وَرَبْرَبُ

فباتَ شرابي في المنام مع المُنَى ... غَريضُ اللَّمَى يَشْفي جَوَى الحُزنِ أَشْنَبُ

قُضاعِيَّةٌ أَدْنَى ديارٍ تَحُلُّها ... قناةُ وأَنَّى مِن قناةَ المُحَصَّبُ

سراجُ الدُّجَى تَغْتَلُّ بالمسكِ طَفْلَةٌ ... فلا هي مِتْفالٌ ولا اللونُ أَكْهَبُ (١)

على أن رائيته في الغزل قد بلغت القمة في هذه الميدان، وقد عدَّها صاحبُ الأغاني من مختار شِعْرِ هُذَيْلٍ، وذكر فيها ألْواناً من الغناء(٢) ومطلعها:

لِلَيْلَى بذاتِ الجَيْشِ دارٌ عَرفتُها ... وأُخْرى بذاتِ البَيْنِ آياتُها سَطْرُ

ويقال أنَّ أغزلَ شِعر العرب قوله:

أما والذي أَبْكَي وأَضْحَكَ والذي ... أَماتَ وأَحْيَا والذي أَمْرُهُ الأَمْرُ

لَقَدْ تركتني أَحْسُدُ الوَحْشَ أن أُرى ... أَليفَيْنِ منها لا يروعُهُما الذُّعْرُ

فيا حُبَّها زِدني جَوىً كلَّ ليلةٍ ... ويا سَلْوةَ الأَيام موعِدُكِ الحَشْرُ

عجِبْتُ لِسَعْي الدهرِ بيني وبينَها ... فلما انْقَضَى ما بيننا سكنَ الدَّهْرُ (٣)

وهي قصيدة طويلة وسبق أن عرضنا لها في الغزل.

ويروى أنَّ الهادي طَرِبَ لهذه القصيدة طرباً شديداً حتى إنه شق دُرَّاعته إلى آخرها، ولما استمر المنشد فيها شق جبةً كانت تحت الدّرّاعة حتى هتكها، ثم استمر المنشد في إنشادها فشقّ الهادي قميصاً كان تحت ثيابه حتى بدا جسمه، ثم أمر المنشدَ أن يحتكم فأخذَ مالاً جليلاً وخرجَ، وذلك في قصة طويلة مبسوطة في المراجع(٤).

---

(١) المرجع نفسه ٢٣ / ٢٧٧ المُوصِب: المصَاب بالوَصَب، الغريض: الطري، واللمى: سُمرة في باطن الشفة، الأشنب: الذي حوى رقة وبرداً وعذوبة في أسنانه، تغتل: تتطيب، الطفلة: الرخصة الناعمة، المتفال: التي تترك الطيب، الأكهب: الأغبر المشرَّب سواداً.

(٢) المرجع نفسه ٢٣ / ٢٧٨.

(٣) بلوغ الأرب للألوسي ٣ / ١٤٢.

(٤) الأغاني ٢٣ / ٢٨١، وخزانة الأدب ٣ / ٢٦٠.